



الكنز

المحاضرات

محاضرة في الأردن

2022-11-07

عمان

الأردن

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

حرص الإنسان على ما يسعده:

وبعد أيها الكرام؛ مما جُبل عليه الإنسان الحرص، وقد جاء في الحديث: " يشيب ابن آدم وتشيب معه خصلتان، الحرص والأمل ".



المؤمن يبني حياته على العطاء

فالإيمان حريص على ما يسعده، من باب حرصه يخبئ بعض ماله أحياناً، من الحرص، لا ينفق، المؤمن لا أقول إنه غير حريص، فهو بشر في محصلة الأمر، يريد أن يؤمن مستقيلاً لأولاده، يريد أن يدع بعضاً من ماله لحاجة طارئة تأتي إليه، يريد أن يتمتع ببعض الدنيا بالحلال، لكن ما يكون في داخله من رغبة في الآخرة يجعله أكثر قدرة على العطاء من غيره، يتميز بالعطاء، يعطي مما أعطاه الله، وأقل عطائه زكاة ماله، ربع العشر، وكلما زاد في إيمانه زاد في عطائه، فالمؤمن يبني حياته على العطاء.

اليوم أريد أن أتحدث عن حديث شريف، عن كنز، كنز عظيم يذكره النبي صلى الله عليه وسلم غير ما يكتنزه الناس من الذهب والفضة، هذا الحديث رواه الطبراني في معجمه بسند صحيح:

{ عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: بينما هم في سفر إذ نزل القوم يتصبحون فقال شداد ادنوا هذه السفارة لفيت بها، ثم قال: استغفر الله ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت إلا وأنا أزمها وأخطمها قبل كلمتي هذه ليس كذلك قال محمد صلى الله عليه وسلم ولكن، قال يا شداد: إذا رأيت الناس يكتزون الذهب والفضة فاكثر هؤلاء الكلمات، اللهم إني أسألك التثبيت في الأمور والعزيمة الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك قلباً سليماً، ولساناً صادقاً، وخلقاً مستقيماً، وأستغفرك لما تعلم وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من خير مما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، إنك أنت علام الغيوب {
[أخرجه ابن حبان في صحيحه والحاكم]

(إذا رأيت الناس يكتزون الذهب والفضة فاكثر هؤلاء الكلمات) الذهب والفضة كناية عن كل ما يكتزّه الإنسان من المال، اليوم النقود تقوم مكان الذهب والفضة، كان هناك دينار ذهبي، ودرهم فضي، اليوم يوجد عملات مختلفة تقوم مقام الذهب والفضة، وما يزال حتى اليوم الذهب والفضة لهم مكانة، لكن إضافة للذهب والفضة اليوم يكتز الناس حسابات بنكية يعدون أوراقاً نقدية، ويكتزون سيارات، يكتزون بيوت، يكتزون عقارات، أراضي، إلى آخره.
فقال: **(إذا رأيت الناس يكتزون الذهب والفضة فاكثر هؤلاء الكلمات)** أنت احفظ هؤلاء الكلمات، واجعلها في حرز عندك بحيث تكررها دائماً، وتفهم مضامينها، ما هذه الكلمات؟

{ اللهم إني أسألك التثبيت في الأمور والعزيمة الرشد، وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك، وأسألك قلباً سليماً ولساناً صادقاً، وخلقاً مستقيماً، وأستغفرك لما تعلم، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، إنك أنت علام الغيوب {

هذه الكلمات أمر النبي صلى الله عليه وسلم شداداً، وأمر أمته، ونحن من أمة الاستجابة إن شاء، أمرنا أن نكتز هذه الكلمات.

طلب الثبات من الله عز وجل لأسباب كثيرة منها: 1 - إقبال الفتن:

ماذا في هذه الكلمات؟ أول ما فيها الطلب من الله الثبات، أن يطلب الإنسان من ربه الثبات في الأمر، الأمر هو الإسلام، الدين، الإيمان **(اللهم إني أسألك التثبيت في الأمور)** نحن اليوم أحوج ما نكون إلى الطلب من الله بالثبات، لأسباب كثيرة، أولها: إقبال الفتن، الفتن أقبلت بشهواتها وشبهاتها، فيقول صلى الله عليه وسلم:

{ عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم، يُصبح الرجل مؤمناً ومُؤمِنِي كافرين، ومُؤمِنِي مؤمناً ومُصنِّح كافرين، يبيع دينه بعرض من الدنيا {**
[أخرجه مسلم والترمذي]



اعظم ما في هذا العصر هو الفتن

أي استقبلوا الفتن بأعمال صالحة، حتى لا تصيبكم الفتن، قال: **(بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم، يُصبح الرجل مؤمناً ومُصنِّح كافرين، ومُؤمِنِي مؤمناً ومُصنِّح كافرين، يبيع دينه بعرض من الدنيا)** فأعظم ما في هذا العصر هو الفتن التي استعرت، الشهوات في كل مكان، فأنت مضيت في الشارع تجد الشهوات معروضة على جانبي الطريق، فإذا فتحت هاتفك خرج لك من الفتن ما يخرج، تفتح على موضوع مختلف تماماً تريد أن تبحث في تجارتك عن شيء فتجد الفتننة قد قفزت إلى الشاشة فقرأ على هيئة إعلان، وتفتح لتصفح موضوعاً فتجد الشبهة قد عرضت لك، انظر هذه الآية، انظر هذا الحديث، هل القرآن من كلام الله تعالى أم كلام محمد صلى الله عليه وسلم؟ تفتح المرأة جوالها تملك الإسلام، اليوم الفتن تعرض في كل مكان **(كقطع الليل المظلم يُصبح الرجل مؤمناً ومُصنِّح كافرين)** تجد هذا اليوم نشاهده بأم أعيننا، تقول: فلان؟! نعم والله فلان، هذا الذي يخرج نعرفه كان في المسجد، وكنا نقوم الليل معه، وكنا، وكنا، وكنا، ثم تجده اليوم قد جند قدمه وسيفه لحرب الإسلام، فاليوم الفتن مشتتة لذلك نحن بحاجة إلى الثبات.

الأمر الثاني الذي نحن بحاجة فيه إلى طلب الثبات دائماً، والنبى كان أكثر ما يقول في سجوده، في قيام الليل في السجود، يقول:

{ عن أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر في دعائه أن يقول: **اللهم مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**، قالت: قلت: يا رسول الله وإن القلوب لتتقلب؟ قال: نعم ما من خلق الله من بشر من بني آدم إلا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله عز وجل فإن شاء الله أقامه وإن شاء أزاعه فنسأل الله ربنا أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب. قالت: قلت: يا رسول الله ألا تعلمني دعوة أدعو بها لنفسي؟ قال: بلى قلبي: اللهم رب محمد النبي اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن ما أحبيتنا }

[أخرجه الإمام أحمد]

هذا من؟ هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله تعالى يقول:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَرِلَّ قَدَمُ بَعْدَ نُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا الشُّوْءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (94)

[سورة النحل]

أي تثبت ثم تزل، ولما سأله أصحابه: ما أكثر ما تدعو الله بالثبات؟! فقال صلى الله عليه وسلم:

{ عن أنس بن مالك رضي الله عنه: قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُكَيِّرُ أن يقول: يا مُقَلِّبَ القلوب ثَبِّتْ قلبي على دينك، فقلت: يا رسول الله، قد آمتنا بك، وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال: نعم، **إن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن، يُقلبها كيف يشاء** }

[أخرجه الترمذي]



ما سمي القلب قلباً إلا لكثرة تقلبه

وما سمي القلب قلباً إلا لكثرة تقلبه، فالإنسان أحياناً يكون قلبه مقبلاً، وأحياناً يدبر لكن المصيبة أن يتقلب القلب فينقلب من إيمان إلى كفر، أو أن ينقلب من شكر إلى نكران، أو ينقلب من ثبات إلى ضعفة، لذلك الله تعالى لما ضرب مثلاً قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَقَمَنْ أَسْسَنَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَفْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسْسَنَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَقَا جُزْفٍ هَارٍ فَأَنْهَارٍ بِهِ فِي تَارٍ جَهَنَّمَ
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (109)

[سورة التوبة]

فنحن بحاجة إلى الثبات في زمن المتغيرات أكثر من أي زمن مضى، وأكثر ما ينبغي أن نسأل الله تعالى أن نسأله الثبات في الأمر، يا رب إنا نسألك الثبات في الأمر، لأنه لا يثبتك إلا الله، لا إنسان يقول: أنا أثبت من نفسي، أنا قوي، أنا إيماني قوي، لا، كلنا ضعاف، لذلك عندما نقرأ نقول:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ تَسْتَعِينُ (5)

[سورة الفاتحة]

فنحن لولا عون الله تعالى لما ثبتنا، وعندما نقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، أي لا حول عن معصيته ولا قوة على طاعته إلا به، أي لا نستطيع أن نتحول عن معصيته من ذاتنا، إنسان يقول: أنا بالنسبة لي موضوع النساء أنا خارج حساباتي، أنا لا أنظر إلى النساء ولا أشتهي، لا، لا، قل: لا حول عن معصية الله إلا به، لولا أن الله ثبتني، لذلك سيدنا يوسف علمنا هذا الدرس، وهو من هو في الثبات؟! قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ رَبِّ السُّجُنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَضْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ (33)

[سورة يوسف]

قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (34)

[سورة يوسف]

فلولا أن الله صرف عنه لوقع، وقال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لَتَصْرِفَ عَنْهُ الشُّوْءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (24)

[سورة يوسف]



المؤمن يتأدب مع الله

هنا نقف (هَمَّتْ بِهِ) همت به بالفاحشة والعباد بالله، قال: (وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) أي لولا أنه أدرك أن هذه المعصية تنتجها هي نار جهنم، وهذا هو البرهان الحقيقي بخلاف ما في الكتب من بعض الإسرائيليات، ونظر إلى السماء فوجد صورة أبيه، أو كذا، لا ما يرد ذلك في الصحيح (رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) البرهان؛ هو النور الساطع، نور من الله يقذفه في قلب المؤمن فيرى به الحق حقاً، والباطل باطلاً، وكلنا يمكن أن نرى برهان ربنا في لحظة معينة فنحيد عن المعصية، لذلك لا حول عن معصية الله إلا به، ولا قوة على طاعته إلا به، لا يقول أحد: أنا قوي على الصلاة، لا، لولا أن الله يقوبك لكنت كغيرك، فلذلك المؤمن يتأدب مع الله، فإذا رأى عاصياً لا يحتقره، وإنما يشفق عليه، ويتعامل مع العصاة بشعور المرضى وكأنه الطبيب، وليس بشعور الضابط وهم الجنود، وإنما بشعور الطبيب الذي يتعامل مع المرضى بخلاف من يتجاهرون بالمعاصي والآثام فهذا شأنهم آخر، لكن المغلوبين على أمرهم ينظر إليهم على أنني لولا أن الله من علي لكنت مكانهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَتَّوْا مَكَاتَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَانَ اللَّهُ يَسُطُّ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيُكَافِّئُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (82)

[سورة القصص]

الجنة من الله علينا، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا صَرْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَيْسَتْ مُؤْمِنًا تَتَّبِعُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَعَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (94)

[سورة النساء]

فمن منا إلا وله زلل وله معصية؟ لذلك نسأل الله دائماً الثبات.

3 - إقبال الدنيا:

ثم من الأسباب التي توجب على الإنسان أن يسأل الله الثبات: إقبال الدنيا، الفتن كثيرة، لكن أيضاً من غير الفتن لو لم يكن هناك فتن سيكفي إقبال الدنيا حتى يسأل الإنسان ربه الثبات، لأن الدنيا نغر، وتصر، وتمر.



وسائل الراحة بين يدينا اليوم كثيرة جداً

أخواننا الكرام؛ أفقر إنسان فينا اليوم بالفقر المادي، أفقر إنسان فينا اليوم في مجتمعاتنا عنده من الدنيا ما لم يكن عند صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنت تدخل مثلاً على بيت تقول: والله فقر ليس طبيعياً، تلاجة صغيرة جداً تهتز، ومروحة قديمة، وجر شديد، من كان عنده من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم مكان يضع فيه الطعام؟ أو مروحة تدور؟ كسرى ملك الفرس كان يقف له شخص يمسك له بكرتونة ليأتي بالهواء على وجهه، فاليوم نحن نعيش، أقبلت الدنيا علينا أيها الإخوة الكرام، والله أقبلت الدنيا، الحمد لله، نحن نشكر الله، لكن إقبال الدنيا ينبغي أن يدفعنا إلى أن نسأل الله الثبات، لأن الدنيا تحركك عن مسارك، أكثر ما يكون الناس قريباً من ربهم حينما تنعدم وسائل الراحة، أما وسائل الراحة بين يدينا اليوم كثيرة جداً حتى عند الفقراء.

فلذلك بعض التابعين الكرام كانوا لما رأوا الدنيا قد بسطت عليهم ما لم تبسط على صحابة رسول الله كان يقول قائلهم: وأخشى أن نكون ممن عُجلت لهم طبيباتهم في الحياة الدنيا، يخافون من إقبال الدنيا، المؤمن يبادر ذلك بالعمل الصالح، بالإتقان، بالصدقة، بالشعور بالآخرين، ويسأل الله الثبات، حتى لا تغريه الدنيا وتحرفه عن مساره.

4 - الحرب الصروس التي أعلنت على الإسلام ليلاً نهاراً:

أيضاً مما يدفعنا إلى طلب الثبات دائماً هي تلك الحرب الصروس التي تعلن ليلاً نهاراً على الإسلام، اليوم أينما وجهت، وأينما يمنت وجهك تجد حرباً على الإسلام، حتى أصبح الواحد يخشى أن يقول: هذا حلال وهذا حرام، فيقول له: لطف العبارة، ولعلك تقول: هذا عيب، هذا لا ينبغي، لكن لا تدخلنا في الحلال والحرام، ويخشى في بعض المجالس، وفي بعض البلدان، وفي بعض المؤتمرات أن يذكر آية من كتاب الله، أو حديثاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما يقبل الناس منه أن يقول: قال المفكر الفلاني، وقال الفيلسوف.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (45)

[سورة الزمر]

هذا اليوم واقع، وهو يزداد مع الأسف، يجب أن نوطن أنفسنا أن هذه العداوة تزداد يوماً بعد يوم، كلما قوي الإسلام وكان انتشاره أكبر فإنهم يزيدون في العداوة منه، في عداوته، لذلك هذا يدفعنا إلى طلب الثبات لأن الإنسان يتأثر بالفكر الذي حوله، يسمع فرمبا يدخل شيء إلى قلبه فينبغي أن يسأل الله الثبات.

5 - التفكير في حسن الخاتمة:

وأخيراً مما يدفعنا إلى سؤال الله الثبات أن نفكر في حسن الخاتمة، فكم من إنسان عاش على خير لكن حُتم له بشر! فالإنسان يخاف من سوء الخاتمة، فيسأل الله الثبات إلى الممات.



الإنسان يخاف من سوء الخاتمة

وقد روي أن الإمام أحمد بن حنبل وهو من هو في العلم، وهو من هو في الوقوف في وجه الظلام، وهو من هو في الثبات في وقت الفتن، وقضية خلق القرآن وغير ذلك، ثبت وعُدب في الله، لكن لما أتته سكرات الموت كان يقول: لما بعد، ليس بعد، فلما أفاق قليلاً قال له أصحابه: كنت تقول ليس بعد؟ قال: جاءني الشيطان فقال: نجوت مني يا بن حنبل، فكنت أقول: ليس بعد، ما دام النفس يخرج إذا ما زال لك مدخل عليّ، أسأل الله أن ينجيني منك.

فإنسان يسأل الله الثبات لأنه يتذكر أن هناك لحظة سيغادر بها الدنيا، فيسأل الله أن يثبته حتى يلقي الله، على الصلاة، على العبادة، على الصيام، على الطاعات، على المنهج لا يحيد، ولا يغير، ولا يبدل.

على الإنسان أن يسأل الله العزيمة على السير في الطريق الصحيح:

(اللهم إني أسألك التثبيت في الأمور، والعزيمة على الرشد) الرشد؛ الهداية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (186)

[سورة البقرة]

أي يصلون إلى الرشد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (186)

[سورة البقرة]

فهنا يسأل النبي صلى الله عليه وسلم ربه، ويطلب منا هذا الدعاء أن نسأل الله العزيمة على الرشد، فكم من إنسان يعرف الطريق الصحيح ولكنه لا يملك العزيمة على السير فيه؟! فيقول لك: والله أريد أن أصلي الفجر لكنني أنام عنها، ويقول لك: والله أريد أن أكف عن النظر إلى الحرام، لكن لا أجد في نفسي القدرة على ذلك، ويقول لك: أريد أن أتوقف عن الربا ولكن أجد نفسي مدفوعاً بحكم المعاملات التجارية إلى القرض الربوي، وما إلى ذلك، فينبغي أن يسأل الإنسان ربه العزيمة على الرشد، والسؤال هنا لا يعني مجرد السؤال، وإنما يعني أن يكون الإنسان طالباً للرشد، ثم يستعين بالله ليسير في هذا الطريق، فيأخذ بالأسباب ويتوكل على الله معاً.

سؤال الله عزائم المغفرة وموجبات الرحمة:

{ عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَنْ كَانَتْ لَهُ إِلَى اللَّهِ حَاجَةٌ، أَوْ إِلَى أَحَدٍ مِنْ بَنِي آدَمَ فَلْيَتَوَضَّأْ وَيُحْسِنِ الوُضوءَ، ثُمَّ لِيَصِلْ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ لِيُتِنِّ عَلَى اللَّهِ، وَلِيُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ لِيَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَسْأَلُكَ مَوْجِبَاتِ رَحْمَتِكَ، وَعِزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ، وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بَرٍّ، وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، لَا تَدْعُ لِي ذَنْبًا إِلَّا غَفَرْتَهُ، وَلَا هَمًّا إِلَّا قَرَّخْتَهُ، وَلَا حَاجَةَ هِيَ لَكَ رَضَى إِلَّا قَضَيْتَهَا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ }

[أخرجه الترمذي]



من أدب الدعاء النبوي

وهذا من أدب الدعاء النبوي، محمد الغزالي رحمه الله، ليس الإمام الغزالي، محمد الغزالي المعاصر، ألف كتاباً سماه: فن الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء، كتاب جميل، فن الذكر والدعاء، أي النبي صلى الله عليه وسلم كان ينتقي الكلمات في الأدب مع الله تعالى في دعائه، فهذا من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم، **(أسألك موجبات رحمتك)** نعم الإنسان يقول: يا ربِّ ارحمني، يسأله الرحمة فوراً، لكن من فن الذكر والدعاء عند النبي صلى الله عليه وسلم أن يسأل أحياناً **(موجبات رحمتك)**.

طالب يمكن أن يقول للأستاذ: نجيني، الأستاذ يقول له: سأحاول حسب علامتك، حسب وضعك، لكن الطالب الأكثر قدرة على الكلام، أو الأكثر عقلاً يقول للأستاذ: أستاذ أعطني الطريقة التي أنجح بها، دلني على الطريق، ماذا أدرس؟ كيف أدرس؟ الوقت الذي أحتاجه؟

(موجبات رحمتك) أي يا رب دلني على الأشياء التي توجب أن تنزل رحمتك عليّ، فيدله الله على عمل صالح، على شخص مريض يزوره، على شخص فقير يعطيه، على مريض يساعده في إجراء عملية جراحية، على ركعتين في جوف الليل، على، على، يدلّه على أبواب الخير لأنه سأل الله موجبات الرحمة، ما يوجب رحمتك يا رب أسألك أن تدلني عليها.

(وعزائم مغفرتك) أيضاً تشبه **(موجبات رحمتك)** أي الأشياء التي تستوجب مغفرتك يا رب دلني عليها، لأن الإنسان بين عمل يؤدي به إلى رحمة الله أو خلل يؤدي به إلى مغفرة الله، نحن جميعاً عندما نستيقظ صباحاً إما أن نسير على الطريق فتأتي رحمتك الله أو نخالف فتأتي مغفرة الله، هذا المؤمن، لذلك في آيات كثيرة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (218)

[سورة البقرة]

غفور إذا كان هناك ذنب يغفره، ورحيم إذا كان هناك عمل صالح يتجلى على قلبك بالرحمة، فالإنسان يسأل الله تعالى موجبات الرحمة، وعزائم المغفرة، أي الأشياء التي توجب، وأعزم بها على أن أطلب مغفرتك يا رب **(وعزائم مغفرتك)**.

شكر الله على نعمه:



الشكر نعمة من الله

(وأسألك شُكْرَ يَعْظِمُكَ) ناجى أحد الصالحين ربه، قال: يا رب كيف أشكر لك على نعمك والشكر نعمة منك؟ الشكر نعمة من الله يا أحياناً، فهو يسأله هي نعمة من الله الذي يلهم الشكر نعم الله عليه بنعمة الشكر.

لذلك ورد: ما أنعم الله على عبد نعمة فحمد الله عليها إلا كان الحمد أفضل من تلك النعمة، أي إذا أنت جلست بمجلس وأكلت طعاماً لذيذاً، جيد، إذا قلت: الحمد لله، الحمد لله أفضل من الطعام، لأن الطعام دخل إلى المعدة، وهضم، وذهب، أما الحمد بقي ليوم القيامة، فأيهما أفضل الحمد أم النعمة؟ الحمد، لذلك الحمد على النعمة أفضل من النعمة.

(وأسألك شُكْرَ يَعْظِمُكَ) اسأل الله أن يرزقك الشكر، يلهمك إذا أكلت الطعام أن تحمد الله عليه، وإذا شربت الشربة أن تحمد الله عليها، والشكر أحياناً الكرام على مراتب؛ أول مراتب الشكر امتلاء القلب بالحمد لله تعالى، حالة نفسية مبنية على معرفة بفضل الله تعالى، وينتقل إلى شكر اللسان، الحمد لله، ثم ينتقل إلى شكر العمل:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ وَتَمَائِيلٍ وَجِحَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (13)

[سورة سبأ]

(وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) بهذا المعنى قد يقول بلسانه: الحمد لله لكنه ينفق النعمة في غير الوجه الذي أَرَادَهُ اللهُ، فهو لم يعمل شكراً، قال شكراً لكنه لم يعمل شكراً، كيف يعمل الإنسان شكراً؟ يقول: يا رب لك الحمد على نعمة العين، إذا لا تنظر إلى الحرام، يقول يا رب لك الحمد على نعمة القدم، إذا تمشي إلى مجالس العلم، مجالس الخير، الصحة الطيبة، الجلسة المفيدة الهادئة، إلى الأهل، إلى الأصحاب، إلى الأحباب، لا تمش إلى مكان تدار فيه المعاصي والآثام، تحمد الله على نعمة المشي، الأذن! إذا حمدت الله على نعمة الأذن لا تسمع الغيبة والنميمة، والغناء الفاحش، والساقط، اسمع كلام الله، اسمع الأناشيد الجميلة، اسمع الحق، اسمع الخير، اسمع الكلمة الطيبة، إلى آخره. فهذا (اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا) بمعنى أن يشكر الله تعالى على نعمه من جنس النعمة، فإذا أطعمه الله أطعم، وإذا سقاه الله سقى الآخرين، وإذا أعطاه الله أعطى، وهكذا (اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا).

إتقان العبادة:

(وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ وَحَسَنَ عِبَادَتِكَ) العبادة أحياناً الكرام، يوجد حسن، ويوجد أحسن، أي من إتقان العبادة هو حسن العبادة، الإحسان هو الإتقان، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (7)

[سورة السجدة]

الذي أتقن كل شيء خلقه، فالإحسان هو الإتقان، وعندما قال صلى الله عليه وسلم:

{ عن رجل من النخ رحمة الله قال: سمعت أبا الدرداء حين حضرته الوفاة قال: أحدثكم حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، واعدد نفسك في الموتى، وإياك ودعوة المظلوم فإنها تستجاب، ومن استطاع منكم أن يشهد الصلاتين العشاء والصبح ولو حبواً فليفعل }

[أخرجه الطبراني]



الإحسان يؤدي إلى إتقان العبادة

هذا أيضاً يقضي إلى إتقان العبادة، إذا الإنسان وقف بين يدي الله ليصلي وهو يعبد الله كأن الله يراه، كأنه يرى الله، هذه المرتبة الأولى، كأنه (فإن لم تكن تراه فإنه يراك) أي أدنى حد أن تعتقد أن الله يراك، فكيف يؤدي عبادته الآن؟ بإتقان، فالإحسان بالمعنى النبوي والمعنى القرآني يؤدي إلى إتقان العبادة، فنسأل الله تعالى حسن عبادته، أي أن نؤدبها على الوجه المطلوب، وأن تحقق المقصد منها، أن يؤديها على الوجه المطلوب، مثلاً الصلاة يتم ركوعها، يتم سجودها، يأتي بسننها، بأدائها، ثم بعد ذلك تنهاه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا ينطلق لسانه بفحش، ولا عمله بمنكر، هذا أدى الصلاة بحسن العبادة، هذا حسن العبادة.

الصيام؛ التزم بأدابه، صام عن الطعام والشراب لكنه لم يصم عن الغيبة والنميمة، هذا ليس من حسن العبادة، أتى بأداب الصيام من حسن العبادة.
الآن:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (21)

[سورة البقرة]

حقق الصيام غايته في تقوى الله، هذا (وحسن عبادتك).

القلب السليم يؤدي إلى صدق اللسان:

(وَأَسْأَلُ قَلْبًا سَلِيمًا وَلِسَانًا صَادِقًا) قالوا:

الكلام في الفؤاد، في القلب، وأحياناً الإنسان يقول لك: رأيت منظر جميلاً ذهلت أمامه فما أسعفتني الكلمات، امتلأ القلب بالكلام لكن اللسان ما استطاع أن يعبر عما في القلب، فيقول له: أنا عاجز عن شكرك، تعجز الكلمات عن شكرك، فالكلام في الفؤاد، لذلك جمع هنا بين القلب واللسان، لأن اللسان هو دليل القلب، فإذا كان القلب سليماً كان اللسان صادقاً، وإذا كان القلب مريضاً كان اللسان كاذباً، القلب السليم يؤدي إلى صدق اللسان، القلب السليم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (89)

[سورة الشعراء]

قال ابن القيم رحمه الله: القلب السليم سلم من كل شهوة لا ترضي الله، وسلم من تحكيم غير شرع الله، وسلم من خبر يتعارض مع خبر الله.



القلب السليم سلم من كل شهوة لا ترضي الله

أي ربنا عز وجل قال: إن أول الخلق هو آدم عليه السلام، وإنه خلفه على صورته، يوم خلق السماوات والأرض على الصورة نفسها، فالخبر الذي يتناقض مع هذا الخبر أن يقال إن أصل الإنسان فرد، وتطور فأصبح إنساناً، هذا الخبر يتناقض مع خبر الله، فإذا تعلق به الإنسان القلب صار فيه مرض، سلم من شهوة لا ترضي الله، عنده عجب، شهوة لا ترضي الله، يرى نفسه فوق الناس، هذه شهوة لا ترضي الله ينبغي أن يزيلها، سلم من تحكيم غير شرع الله، يعلم أن الشرع لا يعطيه هذا الحق ولكن بقوة القانون يأخذه، فيقول له: بيننا المحاكم نحن في بلد فيها قانون لو سمحت، يقول له: إلى الشيخ الفلاني نحتكم، الشيخ المفتي نسال، نحن في بلد فيها قانون لو سمحت، فهذا لم يسلم قلبه لأنه يريد أن يحكم غير شرع الله تعالى، فالقلب السليم هو الذي سلم من كل شهوة لا ترضي الله، سلم من تحكيم غير شرع الله، سلم من قبول خبر يتناقض مع خبر الله.

(ولساناً صادقاً) لا يتكلم بالكذب، ينطق بالحق.

{ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي

إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يَكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صَدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ

الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يُكْتَبَ عند الله كذاباً إلا أن أبا داود ذكر الكذب قبل الصدق {
[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي ومالك]

الالتجاء إلى الله لصرف الشر وجلب الخير:

(وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من خير مما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم) من خير ما تعلم فيها تفويض، أي قد يظن الإنسان الخير هنا وهو ليس هنا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ
(216)

[سورة البقرة]

(وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك) أي ألتجئ وأحتم بك أن تجيرني من شر ما تعلم، اصرف عني الشر، واجلب لي الخير.

استغفار الله تعالى لأنه يعلم السر وأخفى:

(واستغفرك لما تعلم) ربنا عز وجل:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (7)

[سورة طه]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى (7)

[سورة الأعلى]

(وَالسِّرِّ وَأَخْفَى) أي إذا تحت السر أي ما خفي يعلمه الله تعالى، أحياناً الإنسان كيف السر وأخفى؟ الجهر ما يقوله، يقول لك: أنا جئت إلى هنا من أجل الخير، أريد الإصلاح، هذا ما قاله، السر الذي أضمره في نفسه هو أنه فادم إلى هذا المكان ليقيم الحجة على فلان، بينه وبينه مشكلة يريد أن ينشئ به في هذا المجلس، لكن هذا ما أعلن عنه هو هذا سر، أحياناً يكون هناك ما هو أخفى من السر، يقول لك: والله لا أدري لماذا أتيت؟ كيف قادتني أرجلي؟ ربما يسمونه هذا أحياناً: استرجاع للذكريات، يعلم النفس، صار معه شيء في الماضي يقول لك: شيء مشابه، يوجد أشياء في النفس لا يعلم الإنسان، هذه يسمونها علماء النفس لماذا؟ أي الإنسان أحياناً حتى تصل معه إلى لماذا الحقيقية، لماذا فعل ذلك تصل معه إلى شيء ربما هو لا يعلمه، فقال: (السِّرِّ وَأَخْفَى) أي أخفى من السر يعلمه جل جلاله.

فلذلك عندما تقول: (وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ) لعل هناك من ذنوب الخلو، أو الخلو، أو من الأشياء التي أنت لا تعلمها لكن الله يعلمها، حظ النفس أحياناً شيء فقال: (وَأَسْتَغْفِرُكَ) الشك الذي يقع في النفس أحياناً (وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَامُ الْغُيُوبِ) انظروا إلى هذا الحديث، بدأ بعالم الشهادة: (إِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ يَكَتْرُونَ الْذَهَبَ وَالْفِضَّةَ) هذا شهادة، الآن كل ما ورد بالحديث متعلق بالغيوب، الناس تكنز الشهادة، يرى بعينه، يقول لك: هذا، لكنه لا ينتبه إلى الغيب، وختم الحديث بالغيوب (إِنَّكَ أَنْتَ عَلَامُ الْغُيُوبِ) فكل الدعاء هذا متعلق بالغيوب.

الآن أنت إنسان ليس له علاقة بالدين، قل له: والله لقيت لك كنزاً، يقول لك: هات، قل له: كل يوم قيل أن تنام: (اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد) أي رشد؟ قل له: (شكر نعمتك) لا يعلمها، لأنه غيب كله، هو يعيش بالشهادة، كنز أي أعطني، لذلك حُتم الحديث (إِنَّكَ أَنْتَ عَلَامُ الْغُيُوبِ) لأن هذا من علم الغيب، كل ما تدعوه أنت بهذه الأمور نابع من إيمانك بالغيوب لأنه يوجد يوم القيامة، فلذلك أنت بحاجة إلى الثبات، والعزيمة، والشكر، والعبادة، وموجبات الرحمة، وعزائم المغفرة، كل هذه الأمور تحتاجها ليس لدنيا، وإنما لأخرنا، أي للغيوب، لذلك جاء ختام الحديث (أنت علام الغيوب).

والحمد لله رب العالمين

نور الدين الاسلامي